التحية الثالثة :

تحت عنوان: **(قنديل العلم لا ينطفئ)**

بقلم الأستاذة الدكتورة :نشأت نور الدين الخطيب

أستاذة التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية

لم أكن اتصور يوماً أن اكتب كلمة عن رحيلك، رحيل استاذ اصيل وزميل كريم، اذ كنا نستيقظ كل صباح على الخلوي لنرى ما تتحفنا به، تتحدث عن محبة الناس وتروي لنا اجمل ما يدور في عقلك عن القيم الاساسية التي يجب ان يتمتع بها المرء خاصة حين تتحدث عن الشهامة المتجسدة في التسامح والتصالح، حيث ينسى الانسان الإساءة اذا كانت عن نية غير سيئة، واذا كانت تتعلق بالمهنة او بمجال العمل، إذ كنت تشير دوما الى ان قيم الانسان موجودة في التعاليم السماوية والأديان، فالإنسان من دون قيم يتحول الى مجرد آلة لا روح فيها ولا نبض.

لقد عايشناك على مدى عقود أخاً وصديقاً ووفياً متعاطفاً معنا بكل القضايا المصيرية والدقيقة والحساسة: غير متلون وغير متقلب بل وضوح بالعلاقة وصدق في التعامل والتزام المبادئ القومية التي تربينا عليها فأتحفتنا بكتب ومقالات ستبقى نبراساً للأجيال اللاحقة.

كانت اولى كتاباته في رسالته بالماجستير عن القضية الفلسطينية وكيف استطاع الصهاينة ان يسيطروا على فلسطين ابان الانتداب الانكليزي عليها منذ عام 1920، ولم يكن اليهود في فلسطين أكثر من 2% من عدد سكانها، فرسالته تعد مرجعاً دقيقاً صالحاً لكل من يريد معرفة تاريخ فلسطين الحديث.

أما انتماؤه الى بيروت قاده إلى استلهام الوطن في كتابه (بيروت المحروسة) التي اشرقت شمسها في كل المشرق العربي فكانت عاصمة الصحافة العربية، وعاصمة الكلمة الحرة، وعاصمة الجامعة للطلاب العرب، ولم يترك اثراً في بيروت الا وتكلم عنه سواء الآثار العثمانية او العربية. اما مزاولته التعليم الجامعي في الجامعة اللبنانية – كلية الآداب، قسم التاريخ– وفي الجامعة العربية، وفي كلية الإمام الأوزاعي فلم تكن تثنيه عن متابعة افكاره في الكتابة عن رجالات بيروت وعائلاتها وآثارها ومفكريها فكان بجده نبراساً لكل هذه الأجيال التي تتلمذت على يديه، ليس في لبنان فقط بل توزع طلابه في كل انحاء الوطن العربي من عمان والخليج الى العراق وسوريا والاردن وفلسطين، الذي صعقوا عندما علموا برحيله، وهنا نرى تأثير الكلمة الطيبة في نفوس طلابه المتوزعين على امتداد الساحة العربية من المحيط الى الخليج. فكتاباته الحرة الطيبة الخالصة لوجه الحق تتماهى مع ذات الدكتور حسان الطامحة ابداً الى ما هو افضل لامته العربية التي يجب ان تتسلح بقوة العلم الحقيقية في صراع الأمم. وقد جسد كل طموحه لأمته في ما تركه من مؤلفات عن الحضارة العربية في اسبانيا وفي العالم قاطبة من اوجه الحضارة المتمثلة بكتاب الحسبة، عن العواصم العربية، وعن تاريخ المشرق العربي منذ العصر الأموي والعباسي والعصر الحديث. لم يترك موضوعاً يتعلق بمستقبل امته إلا وتناوله بأسلوبه البحثي المعمق ليظهر الحق في تاريخ امته الذي نسته الأجيال الجديدة بفعل تغريبها عن مناهج العلم الحضاري في تاريخنا فكان هدفه تصحيح الصورة الحقيقية لتاريخ امته الحضاري.

كن مطمئناً الى أننا سنواصل طريقك في ايضاح الصورة الحقيقية لماضينا وفي عملنا الدؤوب لاسترجاع دورنا في التقدم والرقي ونصرة الأمة بوقوفنا الى جانب الحق ولو تكتلت قوى العالم ضدنا فنحن مصرون على ان نتابع طريقك العلمي ونهجك في طلب الحقيقة وتنوير الطريق للأجيال العربية الصاعدة.

صحيح أنك رحلت، ولكنك ستبقى في أذهاننا وفي عملنا وفي مقاصدنا الأخ الموجه والمربي الصالح والأستاذ الجليل الذي لم يسقط القلم من يده الى آخر يوم في حياته كما روت لي السيدة بشرى ام مازن رفيقة دربه، هدفه تعليم النشء الطالع وتنوير أذهان الناس والتوجه نحو الخير، والإرشاد الى الحقيقة والأهداف السامية كي يفهم جيل المستقبل الاحداث، والتيارات، والمشاكل المختلفة، التي تواجه مستقبل أمتنا العربية، وعندما تتقشع الصورة الشاملة التي تحيط بأمتنا، نستطيع ان ننتقد وننبه ونراقب ونرشد ونوجه ونقترح الحلول التي نراها واجبة لوطننا في سبيل لبنان أفضل، وإنسان أفضل، وعالم أفضل، ننقيه من شوائب التشويه الذي يعلوها بفعل التدخل الصهيوني الذي اصبح وجوداً من الغباء تجاهله ومن التبصر التصدي له بعلم وحس.

تأكد ان املنا في المواجهة سيكون يومياً لتبلغ أمتنا العربية القيم الاجتماعية التي بلورتها حضارتنا على مر السنين – حضارة انسانية شاملة مبنية على العلم والمنطق والصدق والإخلاص – فانصهرت فيها كل الاثنيات التي عاشت في كنفها، مواطنين متساوين امام القانون، ومن حقنا نحن زملاءك أن نفخر بكل ما قدمته في حياتك الى وطنك الصغير لبنان ووطنك الكبير الوطن العربي فكنت (القنديل) الذي اضاء تاريخ مجتمعنا العربي والدولة في لبنان والعالم في مختلف حقباته التاريخية، ففتح ضوء قنديلك اضواء كثيرة منتشرة على دروب الحياة ابعدتنا عن عثرات الطريق وأدخلتنا في رؤيا وضّاءة جاءت تبدد ظلمات الليل وسواده في عتمة الطريق لنحقق لمجتمعنا المعرفة والحق والحرية.